كهانا ـ الكهانية

القدس- قبالة مبنى الكنيست- باحة التظاهرات- هايد بارك الاسرائيلي. تظاهرة عربية احتجاجا على جملة من الاجراءات السلطوية، في صلبها خطر الهدم الذي يحوم فوق الابنية غير المرخصة لغياب الخرائط الهيكلية، ولسياسة تضييق الافق في وجه المواطنين العرب.

فجاة تظهر جماعة من الشبان اليهود. يتقدمهم الرابي مئير كهانا. لم اكن قد شاهدته شخصيا من قبل. يقترب ويقتربون من حوله. يصرخ في وجوهنا ويرددون الصراخ من حوله. يقترب وجهه. اشاهد تجويف فمه، لسانه واسنانه. وتقطيبة شرسة بين حاجبيه المائلين الى الكثافة.

تل ابيب- ذهبتُ الى هناك بدعوة من مجموعة يهودية تريد ان تسمعنا. ناد صغير في قبو تحت احدى العمارات. لعله الملجأ. كان رجل في منتصف العمر بانتظاري عند مدخل ساحة صغيرة. قطعنا الساحة وهبطنا بضع درجات لأشاهد على الجدار المقابل عدة شعارات بالحرف العربي؟ كلمات غير واضحة تبين لي بعد قليل انها فارسية. فهمت منها انها ضد الندوة وضد العرب. قال الرجل الذي في منتصف العمر انهم تلقوا عدة تهديدات تلفونية بنسف النادي. لم اعلق بشيء.

دلفنا من باب منخفض وكان هناك بضع عشرات من الناس. بدأت الندوة. بعد دقائق هرول الى الداخل شاب وسيدة. قالا شيئا. سمعنا ضجيجا في الخارج. جاء الرجل الذي في منتصف العمر، بشعره الاحمر الخفيف، وقال ان جماعة كهانا تطوق المبنى وتهدد بالقاء قنبلة. بدأ الناس في الخروج من القاعة الصغيرة. بقيت صامتا خلف المائدة العارية. اقترب مني شاب وهمس بالعربية: لاتخف تعال معي. قلت: من انت؟ والى اين آتي معك؟.

قال: انا عربي من البقيعة. كنت شرطيا ومعي مسدس مرخص اذا اقتربوا منك فسافرغه في صدورهم. قلت لك تعال معي ولا تخف. قلت: لست خائفا لكنني حزين. قال: تعال، بلا فلسفة. وذهبت معه بلا فلسفة، وفي الخارج كانوا يصرخون ولا ادري لماذا خيل لي آنذاك انني رأيت عدة نسخ طبق الاصل من الرابي مئير كهانا بتجويف فمه. اسنانه. لسانه وصرخاته المتهدجة غضبا وحقدا.

القدس - اذاعة صوت اسرائيل العبرية- برنامج "أتوجد اسئلة؟"- مناظرة في قاعة مدرسة "بتساليل" للفنون التشكيلية. حين اتصل بي المذيع الاسرائيلي ليسألني عما اذا كنت على استعداد للحوار مع الرابي مئير كهانا وتساحي هنغبي (ابن غئولا كوهين)، لم اتردد. قلت: من اجل قضيتي انا على استعداد لمحاورة الشيطان نفسه. قال: سيكون الى جانبك ابراهام بورغ. قلت: حسبي ان الحق الى جانبي. قال: ستحتاج الى اكثر من الحق لمواجهة الرابي مئير كهانا. وفهمت الاشارة على نحو لم يقصده المذيع. اتصلت بشاب من بلدتي كان مجندا ولديه مسدس مُرخص. قلت له: هل تريد أن تكون حارسي الشخصي في مناظرة مع الرابي مئير كهانا؟ قال: بكل سرور.

في اثناء الحوار، لم اجد صعوبة في استمالة الجمهور، وقد بدا لي

ان الرابي مئير كهانا لا يستطيع استمالة احد سوى ثلة المهاويس التي تحيط به. حين كَلّمَ تساحي هنغبي هاجمه في امه. وحين هاجم ابراهام بورغ فقد هاجم "مدنسي اسم الرب الذين يدعون التدين وما هم من الدين في شيء"... ونظر اليّ بهدوء عجيب وهو يقول: اسمع، انت عدوي. والمعركة بيننا واضحة. اما انا واما انت. انا لا احبك. لكن صدق انني احترمك اكثر من هؤلاء اليهود الكفرة (مشيرا الى ابراهام بورغ). وتصدى له بورغ بعنف وتعالى الصراخ فأخذت الميكروفون وقلت بهدوء (كان البث مباشرا): لقد تمتعتم طويلا بحروب العرب وآن لي ان اتمتع قليلا بحروب اليهود. وضحك الجمهور واهتاج الرابي مئير كهانا. ورأيت عن كثب مرة اخرى، تجويف فمه. اسنانه. لسانه. والتقطيبه الشرسة ما بين حاجبيه الكثين.

اشواك في عيونكم: في آب من العام ١٩٨٠ وضع كهانا كتابا في سجن الرملة. في هذا الكتاب (٢٤٥ صفحة .. قطع متوسط) شرح، باسهاب وباستشهادات كثيرة، نظريته التي تتلخص في عبارة واحدة: "يجب طرد العرب من البلاد".

وقد اطلق على الكتاب اسم "أشواك في عيونكم" معتمدا مصدرا دينيا يحذر اليهود من السماح ببقاء اي من السكان الاصليين في البلاد التي وعدهم بها الههم، "لان من تبقونه منهم سيصبح اشواكا في عيونكم وحسكا في جنوبكم".

ويقدم مئير كهانا ادلة وفيرة لتبرير دعوته لطرد العرب من البلاد، ويجد مبررا هاما في الشعر، ويخصني بالدليل على "كراهية" اليهود لا سيما في قصيدة "قد نمهل لكن لن نهمل" التي كتبت عن يوم الارض والقيت في الناصرة في الاول من ايار ١٩٧٦. وهو يصور قصائدي بانها "مصدر المارشات للتمرد القومي" (شكرا!)

ثم يمسك في مكان لاحق من كتابه بخناق توفيق زياد ويقرعه أشد التقريع لانه كتب قصيدة عن عبور القوات العربية خط بارليف، ويرى في هذه القصيدة مبررا لطرد العرب من البلاد.

وحتى زئيف جبوتنسكي رمز اليمين القومي الصهيوني المتطرف، لا يسلم من انتقاد الرابي مئير كهانا لانه لم يتوصل الى الموقف الحازم والحاسم الداعي الى طرد العرب جملة وتفصيلا من هذه البلاد.

ومن اكثر ما يثير حنق كهانا ادعاء بعض اليهود بان نظريته لا تتفق مع اليهودية ويسهب في تقديم البراهين على انه هو اليهودي الحقيقي وعلى ان نظريته هي الالصق بجوهر اليهودية.

ويسخر مئير كهانا من "وثيقة استقلال اسرائيل" التي تتحدث، لو حبرا على ورق، عن المساواة للمواطنين العرب، ويسخر من مقولة السلام ومقولة الديمقراطية.

ويختتم كتابه بالعبارة التالية:

(لقد فهم دافيد كيف تكون "الواقعية" و "العملية" و " المنطق".

كانت اقواله الاخيرة قبل ان يقتل جليات: وليعلم كل هذا الجمهور انه ليس بالحربة وبالرمح يأتي خلاص الله، انما الحرب لله، وقد وضعكم (فرائس) في ايدينا". ونزع دافيد رأس جليات من على كتفيه، ونزع العار عن اسرائيل.

هيا ننزع العرب من بين اسرائيل، وبهذا نجلب الخلاص).

حين سمعت نبأ اغتيال الرابي مئير كهانا، لم افتح بيتي لتلقي العزاء، لكنني، ايضا، لم افرح ولم ابتهج. ذلك ان التصفيات الجسدية والاغتيالات لم تكن ولا هي في نظري وسيلة "واقعية" و "عملية" و "منطقية" في اي يوم من الايام.

ليس المهم هو الرابي مئير كهانا الشخص المهم هو الكهانية-الفكرة-النظرية-النهج.

لقد ذهب كهانا. اما الكهانية فما زالت قائمة بكل عريها وبكل خطورتها. وهذا هو التحدي الاشد خطورة الذي يواجه مبادىء الحق والعدل والسلام

«عبير» ١٩٩٠